Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

السفارات المتبادلة بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان خلال الفترة (3-9هـ/9-15م)

The Embassies exchanged between Islamic Maghreb and Sudan (3-9 A.H/9-15 A.D)

محمد العيد تيته TITA Mohammed Laid يوسف عابد Youcef Abbed
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة - Emir Abd El Kader University of Islamic Sciences Constantine
titahistoire@gmail.com youcefBik@yahoo.fr
المؤلف المُرسل: محمد العيد تيته TITA Mohammed Laid الإيميل: titahistoire@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-09-04 تاريخ القبول : 2019-12-05

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إماطة اللثام على البعثات الدبلوماسية أو ما يعرف بالسفارات بين المغرب الاسلامي وبلاد السودان خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الثالث والتاسع الهجريين/التاسع والخامس عشر الميلاديين. ومن خلال رصدنا لها مع السرد والتحليل لمجرياتها خلصنا إلى النتائج التالية: إن السفارات ظهرت وشهدت تطورا ملحوظا من القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن الخامس، ثم نلاحظها قد تراجعت خلال فترة حكم المرابطين ومن بعدهم الموحدين لبلاد المغرب الاسلامي التي امتدت من منتصف القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع، لتستعيد حيويتها ونشاطها بعد تفكك المغرب الإسلامي إلى دويلات مستقلة متصارعة فيما بينها منتصف القرن السابع الهجري إلى غاية القرن التاسع.

كلمات مفتاحية: السفارات، المغرب الإسلامي، بلاد السودان.

Abstract:

This study aims to reveal the findings of diplomatic missions or embassies between The Islamic Maghreb and Sudan during the period between the 3rd and 9th centuries Hijri/ 9th and 15th centuries AD. By monitoring it with the narration and analysis of its course, we concluded the following conclusions: the embassies emerged and witnessed a remarkable development from the third century AH to the middle of the fifth century, and them we note that it declined during the era of the Almoravids and then the Almohads countries of the Islamic Maghreb that extended from the middle of the century 5th Hijri to the middle of the seventh century, to regain its vitality and activity after the disintegration of the Islamic Maghreb into independent states conflicting between them in the middle of the 7th century AH until the 9th century.

Keywords: Embassies; Islamic Maghreb; Sudan.

1. مقدمة:

تعود جذور العلاقات بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان إلى ما قبل الفتح الإسلامي للمنطقة، حيث كشفت تقارير علم الآثار إلى تواجد مثل هذه العلاقات بين الطرفين تجارية وأخرى ثقافية. ولعل من أبرز مظاهر هذا الاتصال هو تبادل السفارات والبعثات الدبلوماسية بين ضفتي الصحراء خلال القرنين الثالث والتاسع الهجريين/التاسع والخامس عشر الميلاديين.

تشير المصادر الإخبارية إلى أن أول اتصال بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان يرجع إلى عهد الوالي الأموي على إفريقية

عبيد الله بن الحبحاب، حيث جهز حملة عسكرية إلى السودان الغربي بقيادة عبد الرحمن بن حبيب الفهري عام 116هـ/734م، وصلت إلى أقصى السوس الأدنى، وبذلك مهدت هذه الحملة إلى بداية ظهور العلاقات وتطورها بين المغرب الاسلامي وبلاد السودان خلال العصر الوسيط وامتدت حتى إلى العصر الحديث.

وتكمن إشكالية هذه الدراسة في التساؤل التالي: كيف ساهمت السفارات والبعثات الدبلوماسية بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان خلال القرنين الثالث والتاسع الهجريين في تعزيز العلاقات بين الطرفين؟ وما مدى تطورها؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي من خلالها قمنا برصد جميع البعثات والسفارات كما وجدناها في المصادر، وكذلك المنهج التحليلي الذي أتاح لنا فهم مجريات هذه الأحداث وتفسيرها ووضعها في سياقها التاريخي. إن الهدف المرجو من هذه الدراسة يكمن في تسليط الضوء ومعرفة مدى عمق العلاقات بين الطرفين وتطورها خلال الحقبة المقررة.

2. المرحلة الأولى (3- منتصف 5هـ/9-11م):

بعد أن نجح المغرب الإسلامي بتأسيس كيانات سياسية مستقلة عن دار الخلافة بالمشرق خلال القرن الثاني الهجري، بادر حكامه بإرساء علاقات تحفظ له وجوده تمثلت بإيفاد بعثات رسمية، مهمتها مد جسور التعاون بين الطرفين في شتى المجالات.

ويعد بلاد السودان من بين الوجهات التي كان حكام المغرب الاسلامي قد أوفدوا نحوه سفاراتهم، بحيث أسفرت هذه البعثات في معظمها إلى تمتين وتوطيد العلاقات في شتى المجالات التجارية والثقافية والاجتماعية. وفيما يلي نأتي على سرد تلك البعثات كرونولوجيا.

1.2 سفارة محمد بن عرفة(1) على عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب(2):

أدى استقرار الجماعات الاباضية على أطراف الصحراء في واحات فزان وجبل نفوسة وغدامس ووارجلان منذ القرن الثاني الهجري إلى ارتباطهم القوي بتجارة الصحراء[3]، وبقيام الدولة الرستمية في تاهرت عام 160هـ/766م توسعت تجارتهم عبر الصحراء، فأشرفت هذه الدولة على التجارة الصحراوية، واهتمت بها وحفرت الآبار للقوافل في الصحراء وأرسلت الجنود صحبة التجار لتأمينهم[4].

ولما تقلد الإمام أفلح بن عبد الوهاب(ت258هـ/871م) شؤون الدولة الرستمية، بادر بإرسال سفارة إلى بلاد السودان برئاسة ابن عرفة، ويخبرنا عنها ابن الصغير بقوله: "وكان-محمد بن عرفة- قد وفد على ملك السودان بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته إذا ركب الخيل فهز يديه وقال له كلمة بالسودانية"[5]. من خلال هذا النص يتبادل إلى أذهاننا هذا التساؤل الذي مفاده ما اسم البلد الذي وفدت إليه هذه السفارة؟ ومتى تمت؟

تحدث اليعقوبي في تاريخه عن وجود مملكتين عظيمتي الشأن تحكم بلاد السودان الغربي وهما غانة وكوكو وذلك خلال القرن الثالث الهجري، حيث أمدنا بحدود كل منهما. وعن مملكة غانة صرح قائلا: "مملكة غانة وملكها أيضا عظيم الشأن،...، وتحت يده عدة ملوك، فمنهم مملكة: عام، ومملكة: سامة"[6]، وأما مملكة كوكو فقد حددها بقوله: "فهي أعظم ممالك السودان، وأجلها قدراً، وأعظمها أمراً، وكل الممالك تعطي لملكها الطاعة، والكوكو اسم المدينة، ودون هذا عدة ممالك يعطونه الطاعة، ويقرون له بالرئاسة على أنهم ملوك بلدانهم، فمنهم مملكة المرو، وهي مملكة واسعة، وللملك مدينة يقال لها: الحيا، ومملكة مردية، ومملكة الهربر، ومملكة صنهاجة، ومملكة تذكرير، ومملكة الزيانير، ومملكة أرور، ومملكة بقاروت"[7].

وبالرجوع إلى المصادر الإباضية نقرأ في كتاب الطبقات للدرجيني ما نصه: "أنه وقد كان أراد السفر- أفلح بن عبد الوهاب- إلى جوجو،...، فأمره أبوه –عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم- بالرجوع عن السفر"[8]، وهو ما أقره الوسياني خلال القرن السادس الهجري بقوله: "وأنه مع ذلك أراد السفر إلى جوجو، فلما برز رحله خرج إليه الإمام عبد الوهاب والده فرمى عليه السؤال في مسائل الربا، حتى وقف في مسألة واحدة قال له: ارجع لئلا تطعمنا الربا، فرجع"[9].

ومن خلال طرحنا لهذه النصوص التاريخية يتبن لنا بأن المملكة التي أرسل إليها الإمام أفلح بن عبد الوهاب السفارة هي مملكة كوكو التي منعه أباه من السفر إليها، فلما آلت إليه الإمامة وحفاظا منه ومراعاة للمصالح العليا للدولة، سارع الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى إرسال سفارة إلى هذه المملكة، واختار لها رجل وسيما جميلا جواد سمحا[10] للقيام بها، فيما لم يفصح ابن الصغير عن تاريخها، لكنه ذكر أنها وقعت على عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب.

قد تكون لهذه السفارة عدة أهداف من بينها مد أواصل العلاقة بين الدولتين وتنميتها، أو الحصول على تسهيلات للقوافل التجارية الإباضية المتجهة إلى تلك البلاد، وبالتالي الحصول على الذهب الذي يعد السلعة الأهم بين السلع السودانية، أو بأخذ موافقة حكام هذه المملكة ليعمل دعاة المذهب الإباضي على نشر الإسلام وتعاليم المذهب[11].

وفي اعتقادنا بأن هذه السفارة حققت أهدافها وحافظت على استمرارية العلاقات وتطورها بين الدولة الرستمية ومملكة كوكو[12]، وازدهرت الدولة وعاشت في رخاء اقتصادي حسب شهادة ابن الصغير[13].

وقد صرح الأستاذ محمد الطالبي[14] بأن هذه السفارة "تعد أقدم سفارة معروفة لدينا في تاريخ الدبلوماسية بين المغرب وأفريقيا وجنوب الصحراء"[15].

ومع نهاية القرن الثالث الهجري خضعت بلاد المغرب للنفوذ الفاطمي أكثر من نصف قرن، اهتم الخلفاء الفاطميون بالتجارة مع إفريقيا جنوب الصحراء وخاضوا الحروب لأجل استمرار تدفق الذهب إلى خزينة دولتهم، ويشهد على هذا النشاط الفاطمي التجاري عبر الصحراء نتائج الحفريات الأثرية في مدينة أودغست[16]، فقد عثر على أوزان زجاجية تعود كلها إلى الفاطميين وكان تاريخ وصولها إلى تغداوست-أودغست القديمة- متفقا مع تاريخ بلوغ مدينة أودغست أوج نشاطها التجاري وذروة نموها الحضري خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[17].

صور لنا ابن حوقل أثناء زيارته إلى أودغست حجم التبادل التجاري الحاصل بالمدينة بقوله: "لقد رأيت بأودغست صكّا فيه ذكر حقّ لأحد تجار سجلماسة على رجل من تجار أودغست يدعى محمد بن أبي سعدون باثنين وأربعين ألف دينار، وشهد عليه اثنان من الشهود"[18]، فيما ذكر المهلبي بأن: "لأودغست أعمالا واسعة،...، ولها أسواق جليلة والسفر متصل إليها من كل بلد"[19].

ويبدو أن سيرورة التبادل التجاري بين الضفتين خلال القرن الرابع الهجري كما أثبتته المصادر، وقصر فترة حكم الفاطميين لبلاد المغرب إضافة إلى الثورات التي قامت ضدهم، قد جعل الخلفاء الفاطميون لا يهتمون بإرسال سفارات وهدايا إلى بلاد السودان، مادامت التجارة قائمة ومستمرة وتدر لخزينة الدولة الذهب والأموال الطائلة من خلال الجباية والضرائب المفروضة.

وبعد انتقال المعز لدين الله الفاطمي[23] إلى القاهرة[24]، تولت قبيلة صنهاجة ممثلة في شخص بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي[25] أَمْرَ بلاد المغرب، وورثت على إثر هذه التولية كل مقاليد الحكم، وحكمت هذه الأسرة المنطقة قرابة قرن وواحد وثمانون سنة (362-543هـ/973-1148م).

ارتبطت هذه الدولة بعلاقات دبلوماسية مع بلاد السودان، حيث نقرأ عند ابن عذاري خبر وصول هدية من بلاد السودان فيها زرافة[26]، في عهد المنصور بن بلكين[27](373-385هـ/ 982-994م) الحاكم الثاني لخليفة صاحب المغرب، كان ذلك عام 382هـ/922م، حيث خرج المنصور لاستقبالها حتى دخلت بين يديه[28].

إن الخبر الذي أدلى به ابن عذاري حول هذه السفارة يسوده الغموض نظرا لعدم إفصاحه عن اسم البلاد التي قامت بإرسال هاته السفارة إلى المنصور، إضافة إلى ذلك صمت المصادر التاريخية عن سرد مثل هذه الأحداث التي نعتقد أنها مهمة في معرفة العلاقات الدبلوماسية بين الدول، وهذا ما يجعلنا عاجزين عن الإجابة أو الإدلاء بتصريح وتفسير حيثيات هذه السفارة، وعن اسم البلاد التي وصلت منها إلى المنصور.

وخلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وفي ولاية المعز بن باديس[29] وصلت هدية أخرى سنة 423هـ/1032م، ويخبرنا ابن عذاري عنها بقوله: "هدية جليلة فيها رقيق كثير وأنواع من الحيوان"[30].

اتسمت هذه المرحلة التي امتدت قرابة القرنين ونصف القرن بداية ظهور تبادل السفارات بين الضفتين حيث شهدت تطورا ملحوظا، ويعود الفضل للدولة الرستمية التي فتحت الباب على مصرعيه وبادرت بإرسال سفارة إلى بلاد السودان، وأصبحت بذلك صاحبة السبق في ذلك، ثم توالت السفارات خلال القرن الرابع والخامس الهجريين.

3. المرحلة الثانية (منتصف القرن 5- منتصف القرن 7هـ/11-13م):

ذكر البكري (ت 485هـ) في مصنفه المسالك والممالك ما يؤكد أن هناك علاقات ربطت بين الضفتين، تجسد ذلك بتحالف يحي بن عمر الأمير المرابطي مع رئيس تكرور لبى بن وارجاى ضد قبيلة جدالة التي خرجت من حلف صنهاجة بقوله: "ثم رجعت جيوش بني جدالة إلى يحي بن عمر فحاصروه في الجبل، وذلك سنة ثمان وأربعين، وهو في نحو ثلاثين ألفا. وكان مع يحي أيضا عدد كثير وكان معه لبى بن وارجاى: رئيس تكرور، وكان إلتقاؤهم هناك بموضع يسمى تيفريلى بين تاليونى وجبل لمتونة"[31].

إن تواجد رئيس التكرور بجانب يحي بن عمر في الجبل مفاده المساندة والتحالف العسكري بين الرجلين، يرجع في أساسه ربما إلى إسلام ملك التكرور على يد المرابطين.

قراءة في كتاب صاحب الإستبصار الذي عاش في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي تفيدنا عن ارتباط دولة المرابطين مع دولة غانة بعلاقات ودية بقوله: "ووقع إلى كتاب يوسف بن تاشفين[32]، نصه: إلى أمير أغمات، قال غانة"[33].

من خلال النص يتبين لنا قدم العلاقات، ويبدو أنها تعود إلى السنوات الأولى من حكم يوسف بن تاشفين وقبل بناء كرسي الملك بمراكش، التي تم البدء في بنائها وفقا لصاحب الاستبصار أيضا عام 459هـ/1067م[34] فالمراسلة وقعت إذن بين عامي 453هـ/1061م وعام 459هـ/1067م.

وفي اعتقادنا أن هذه السفارة المغزى منها كسب ود ملك غانة لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين، حتى لا يقوم هذا الأخير بالتوسع على حساب مملكة غانة وإن كانت قد دانت له وأصبحت ضمن لوائه، وكذلك تعزيز العلاقات التجارية بين الدولتين.

وأما عن فترة حكم الموحدين فلم يول الأمراء اهتمامهم بالهدايا وتبادل السفارات، نظرا للجبهات المفتوحة في الشمال على الدولة الموحدية في الأندلس والمغربين الأوسط والأدنى؛ وزحف وانتشار قبائل بني هلال على طول الضفة الشمالية للصحراء الموازية لبلاد المغرب فقطعت الطريق أمامهم إلى الصحراء وما وراءها إلى بلاد السودان.

وفي المقابل كون الضفة السودانية كانت في حالة ضعف ووهن، وبدأت مملكة غانة السودانية تلفظ أنفاسها الأخيرة[35]. وما إن قامت دولة مالي الإسلامية، كانت معركة العقاب قد فتكت بدولة الموحدين وهيأت لتشت ملكها[36]، باستثناء رسالة واحدة تشير إلى التحرك التجاري بين شمال وجنوب الصحراء[37]، عند تصفحنا في مجموع الرسائل الرسمية الموحدية، حيث بعث بها والي سجلماسة أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي[38] إلى ملك السودان بغانة يحتج عن إعاقة التجار المغاربة جاء فيها: "نحن نتجاوز بالإحسان، وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألف على الرفق بالرعية، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة، وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستوصب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي مثله، والسلام"[39].

قراءة في حيثيات هذا النص نستنتج أمرين اثنين أولهما أن مملكة غانة دخلت طور الاحتضار لم تعد تتحكم في مملكتها ولو حتى حماية رعاياها ومواطنيها، وثانيها أنها أصبحت تعيق وتضيق على التجار المغاربة وتخنق حرياتهم الأمر الذي أدى بوالي سجلماسة بإرسال رسالة تحذير ووعيد.

هذا ما توصلنا إليه من خلال الإطلاع على مصادر الفترة المدروسة، حيث اتسمت العلاقات الدبلوماسية بالبرودة والتراجع، والفتور لعدة أسباب نعتقد أنها موضوعية أولها وقوع جزء من بلاد السودان تحت سلطة الدولة المرابطية، وارتباطه سياسيا ودينيا، وتجاريا، وفكريا بالمنطقة؛ وثانيها وجود مواطن قبائل الملثمين المكونة لدولة المرابطين في الصحراء والمحاذية لممالك بلاد السودان؛ وثالثها بقاء تدفق الذهب وانتعاش تجارة القوافل بينهما بشهادة كل من الإدريسي[40] وابن سعيد المغربي[41]؛ ورابعها اختلاف موازين القوى بين الضفتين في بعض الفترات مع سيطرة القبائل الهلالية على الواجهة الصحراوية لبلاد المغرب وكانت حاجزا على دولة الموحدين باتصال ببلاد السودان.

بعد هزيمة الموحدين عام 609هـ في معركة حصن العقاب، دب الضعف والفوضى في كيان هذه الدولة-التي يرجع لها الفضل في توحيد كامل أقطار بلاد المغرب-، فاغتنم المتصارعون من القبائل الفرصة في تكوين كيانات سياسية معلنة بذلك تقسيم المغرب الإسلامي إلى ثلاث وحدات سياسية متصارعة فيما بينها وهم على التوالي الدولة الحفصية[42] بالمغرب الأدنى، والدولة المرينية[43] بالمغرب الأقصى، وتأتي الدولة

الزيانية[44] بالمغرب الأوسط، وهو ما نتج عنه انتعاش وتطور العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب الإسلامي وبلاد السودان.

4. المرحلة الثالثة (منتصف القرن 7-9هـ/13-15م)

وفي هذه المرحلة نميز ثلاث وحدات سياسية كما ذكرنا سلفا حيث أصبح المغرب الأدنى من برقة إلى بجاية خاضع للدولة الحفصية في أغلب الفترات، والمغرب الأقصى خاضع للدولة المرينية وحدودها متغيرة حسب قوة وضعف الدولة، ثم يأتي المغرب الأوسط ممثلا بالدولة الزيانية والتي كانت حدودها من تلمسان إلى الحدود الغربية لبجاية. وفيما يلي نذكر هذه السفارات مبتدئا بالدولة الحفصية.

1.4 الدولة الحفصية:

حكم إفريقية خلال هذه المرحلة الحفصيون الذين دأبوا في ربط أواصل التعاون مع بلاد السودان من خلال البعثات وتبادل الهدايا سواء من طرف الأسرة الحاكمة أو من طرف التجار، والتي أخبرتنا عنها المصادر، وخلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري، في سنة خمس وخمسين وستمائة، وصلت هدية من ملك الكانم وبرنو دونمة دوبلامي[45] – التي تقع ضمن أراضي السودان الأوسط- إلى السلطان الحفصي المستنصر، حيث نقرأ عند ابن خلدون ما نصه: "وفي سنة خمس وخمسين وستمائة وصلت هدية ملك كانم من ملوك السودان، وهو صاحب برنو مواطنه قبلة طرابلس، وكان فيها الزرافة وهو الحيوان الغريب الخلق المنافر الحلى والشيات، فكان لها بتونس مشهد عظيم"[46].

وقد كان من نتاج هذه البعثات الرسمية أن تحالف ملك الكانم ومساندته للمستنصر الحفصي ضد خصومه، عندما قام الملك بإعدام الثائر وهو أحد أبناء قراقوش عندما لجأ ومن معه إلى فزان[47].

تعززت العلاقات إذن بين الطرفين وأصبحت حركة التجارة بين طرابلس الحفصية وبلاد الكانم والبرنو دائمة مستمرة بوصول التجار إلى فزان ومنها إلى البرنو وكانم حاملين معهم الهدايا للسلطان والذي كان يسمح لهم بحرية الإقامة والتنقل في بلاده، وبعد أن يعطوه الهدايا كان أهل البرنو يستقبلون التجار بالحفاوة والترحاب، ويقيمون لهم الفنادق والحظائر لجمالهم[48].

وكان من نتاج هذه العلاقات نشر الإسلام في المنطقة، وتأثر حكام الكانم بالحفصيين، فقد اتخذ الماي دونمة بن دابال لقب أمير المؤمنين[49]، فسارت عادة من بعده، وصاروا يلبسون- الحكام- المنسوجات المصنوعة في تونس وبخاصة الخز السوسي نسبة لمدينة سوسة، وقد صرح ابن سعيد بقوله: "والثياب تحمل له من الحضرة التونسية"[50].

وبإقرار من ابن خلدون استمرت العلاقات الودية بين الدولتين حيث قال: "ويليهم الكانم وهم خلق عظيم، والإسلام غالب عليهم...ولهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فزان، وكانت لهم مهادنة مع الدولة الحفصية مذ أولها"[51]؛ وأصبح حكام هذه المملكة يسخرون إمكاناتهم في خدمة الإسلام والمسلمين، كما أنهم شجعوا العلماء للقدوم إلى بلادهم وأغدقوا عليهم الهبات وأرسلوا أبناء دولتهم للتعلم في العالم الإسلامي وشجعوهم على ذلك[52].

2.4 الدولة المرينية:

شهدت الدبلوماسية المرينية نشاطا حثيثا ومتميزا مع دول الجوار، خاصة مع بلاد السودان الذي حظي بنصيب وافر من هذه البعثات، وإليكم التسلسل الكرونولوجي لهذه السفارات بين الطرفين.

1.2.4 السفارة الأولى:

في عام 724هـ/1323م، عَزَمَ الملك منسا موسى[53] الحج إلى بيت الله الحرام، متخذا طريق قوافل سلاطين المغرب والمحاذي لساحل البحر الأبيض المتوسط[54]، وأثناء مرور قافلته أرسل هذا الأخير رسالة إلى السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب[55] يخبره فيها بمرور قافلته من هذا الطريق السالف الذكر. ويعتبر منسا موسى أول من اخترق الستار الحديدي للحاجز اللَّؤْلِي الذي كثيرا ما أبعد أهل السودان الغربي عن العالم المتمدن[56].

لقد كانت لهذه السفارة الأثر الإيجابي على العلاقات المالية المرينية، حيث تعززت العلاقات الثقافية بين الجانبين، بإرسال منسى موسى البعثات الطلابية من بلاده إلى فاس على نفقة الدولة، وكان من يحصل على علومه في المغرب يعود إلى بلاده ليعمل في وظائف متقدمة كالقاضي والإمام أو المعلم في مدارس المدن السودانية[57].

2.2.4 السفارة الثانية:

في عام 737هـ/1337م، تحرك السلطان أبو الحسن[58] نحو المغرب الأوسط وافتتح مدنه عنوة، حتى سقطت العاصمة تلمسان بحلول يوم 27 رمضان 737هـ الموافق لـ 29 أفريل

1337م، دخلت القوات المرينية إليها بعد حصار دام أكثر من سنتين[59]، فسارع الملك منسا موسى بارسال وفدا إلى العاصمة المرينية لتقديم التهنئة[60]، وقد أشار ابن خلدون لذلك بقوله: "فأوفد عليه فرانقين من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين"[61]. واستقبل العاهل المغربي أبو الحسن هذه السفارة وأكرمها أحسن إكرام، واتحفهم بهدايا مغربية ثمينة[62].

وعن هذه السفارة يخبرنا الناصري بقوله: "ولما استولى السلطان أبى الحسن على المغرب الأوسط، وغلب بني زيان على ملكهم عظم قدره، وطال ذكره، وشاعت أخباره في الآفاق فسما هذا السلطان وهو منسا موسى إلى مخاطبة أبي الحسن...فأوفد عليه جماعة من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين لبلادهم من صنهاجة، فوفدوا على السلطان أبي الحسن في سبيل التهنئة بالظفر، فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم"[63].

إن هذه السفارة الرفيعة المستوى من خلال الوفد المكون لها، تدل على حرص الملك منسا موسى على مخاطبة ود الدولة المرينية، وحرصه على مد جسور التواصل الدبلوماسي الجاد، كما أن إيفاد ترجمان مع هذه البعثة يبين لنا مدى تمتع الملك منسا موسى بقدر من الدبلوماسية والحنكة السياسية وإظهار كل معاني حسن الجوار والإحترام للمرينيين والبهجة والسرور لإنتصاراتهم، إضافة إلى ذلك ضمان استمرار حركة التجارة النشطة بين مملكة مالي ومراكز المغرب الأوسط، وتأمين خط التجارة بين توات وتلمسان المغربية[64].

3.2.4 السفارة الثالثة:

جاءت هذه السفارة لتقديم التعازي للسلطان منسا سليمان إثر وفاة أخيه السلطان منسا موسى، وذلك عام 741هـ/1340م، وقد وصل نبأ الوفاة أثناء وجود الوفد المالي بفاس، وضمت هذه البعثة الملكية شخصيات مرينية بارزة ويخبرنا ابن خلدون عنها قائلا: "منهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصي...وأوعز إلى أعراب الفلاة من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين، فشمر لذلك علي بن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل، وصحبهم في طريقهم إمتثالا لأمر السلطان"[65]. وقد رحب به كسلوك إسلامي يدعو إلى التخفيف عن أقارب المتوفي ومواساتهم والدعاء للميت بالمغفرة[66].

وبالإضافة إلى ذلك تقديم التهنئة للسلطان الجديد، ونقل رسالة العاهل المغربي بمواصلة العلاقات الأخوية بين البلدين واستمرارها مع السلطة الجديدة بقيادة الملك منسا سليمان.

4.2.4 السفارة الرابعة:

بعد أن ضم العاهل المغربي أبو الحسن المريني تلمسان، تشوف إلى إفريقية ملك الحفصيين، وأراد ضمها إلى مملكته، وكان له ذلك يوم الأربعاء 8 جمادي الثانية من عام 748هـ/1338م، فبادر السلطان منسا سليمان إلى تهنئة ابو الحسن المريني بمناسبة فتحه الجديد[67]. إن الغرض من حملة أبو الحسن على إفريقية الحفصية ومن قبلها تلمسان الزيانية هو تمهيد الطريق أمام الحجاج المغاربة حتى لا يتعرضوا للمضايقات، وكذلك الرغبة في توحيد بلاد المغرب تحت سلطة سياسية واحدة[68].

لقد تعرضت هذه السفارة للسلب والاعتداء بعد قيام أبي عنان المريني بالانقلاب على والده السلطان أبي الحسن فذهبت السفارة إلى تونس لملاقاة أبي الحسن دون هدايا، برعاية أمير الزواودة يعقوب بن علي[69]، بعد أن دخلت مدينة بسكرة قبل وصولها إلى تونس[70]. وكان من بين أفراد تلك السفارة الحاج موسى الونجراتي الذي لقيه الرحالة ابن بطوطة في بلاد السودان[71].

5.2.4 السفارة الخامسة:

كان من إفرازات ضم إفريقية الحفصية والإضطرابات التي عمت بلاد المغرب، أن تم الإقصاء الإجباري لأبي الحسن عن الملك من طرف إبنه أبي عنان عام 752هـ/1352م. فأصبح الإبن يفكر في دراسة المسالك التجارية ومعرفة مناجم الذهب وحجم تجارته بين السودان ومصر وتحويل مسارها نحو الدولة المرينية[72]. فقرر العاهل المريني ارسال سفارة بقيادة الرحالة ابن بطوطة عام 753هـ/1352م.

إن المتمعن في حيثيات هذه الرحلة يفهم من خلالها إنها بإيعاز من السلطان أبي عنان حيث يذكر ابن بطوطة في رحلته: "ثم وصلنا إلى حضرة فاس، حرسها الله تعالى، فوادعنا بها مولانا أيده الله، وتوجهت برسم السفر إلى بلاد السودان"[73]؛ وقد إعتبر كثير من الباحثين من أن هذه السفارة الغرض منها التجسس على مملكة مالي من خلال معرفة مكتسباتها من مسالك تجارية ومناجم الذهب، الأمر الذي أدى إلى التشنج والتوتر بين الطرفين، وبالتالي أساءت إلى علاقات البلدين[74].

6.2.4 السفارة السادسة:

بعد أن تقلد منسا ماري جاطة الثاني كرسي المملكة عام 762هـ/1360م، أرسل هذا الأخير بسفارة إلى فاس محملة بهدايا إلى السلطان أبو سالم المريني، ويصور لنا ابن خلدون مشهد وفود هذه السفارة بقوله: "فوصلوا إلى فاس في صفر من سنة إثنتين وستين وسبعمائة وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس

لهم السلطان ببرج الذهب مجلس العرض...وأنشد الشعراء في معرض المدح والتهنئة، ووصف الحال"[75].

وتعد هذه السفارة هي أخر حلقة من حلقات العلاقات الدبلوماسية بين مملكة مالي ومملكة المرينيين، نظرا للمشاكل الداخلية التي تخبط فيها كلا الجانبين، ولم يعد كل بلد يبحث عن توطيد العلاقات والإستمرار في تدعيمها.

وقصارى القول يتضح لنا من خلال هذه السفارات رغبة ملوك بلاد السودان في توطيد العلاقات الدبلوماسية مع الدولة المرينية، حيث شهد عهدي منسا موسى ومنسا سليمان حركة حثيثة في ارسال وتبادل السفارات مع سلاطين المغرب المريني خاصة في عهد السلطان أبي الحسن المريني بحيث وصلت إلى أوجها، ثم تراجعت وتضاءلت مع خلفه السلطان ابي عنان بعد أن أرسل هذا الأخير الرحالة ابن بطوطة لتقصي ومعرفة مناجم الذهب وكذا مسالك التجارة، والتي إعتبرها الكثير من الباحثين سفارة تجسس أكثر منها سفارة لتوطيد العلاقات وتمتينها، وقد أحست السلطة الحاكمة بها فتوترت علاقتها مع ابن بطوطة، الأمر الذي جعله يصف منسا سليمان بالبخل[76]. ومع أفول نجم كل من الدولتين المالية والمرينية والمشاكل الداخلية التي تتخبط بها كل منهما، زالت السفارات والبعثات وتبادل الهدايا بينهما.

3.4.الدولة الزيانية:

ارتبطت الدولة الزيانية كغيرها من دول المغرب الإسلامي بعلاقات ودية مع ملوك بلاد السودان ككانم وبرنو ومالي، حيث كان لهم معهم تبادل للهدايا والرسائل. إن جوهر العلاقات بين الزيانيين ومملكة مالي على الخصوص تجسدت عبر المسالك التجارية، وتدفق السلع بين الدولتين عن طريق توات التي لعبت دورا فعالا كمحطة تربط الشمال بالجنوب.

لقد كان هناك مراسلات بين السلاطين الزيانيين وملوك مالي[77]، وارتبط حاجب السلطان أبي تاشفين الأول هلال القطلاني، بالصداقة مع منسا موسى عندما لقيه في طريقه إلى الحج بالإسكندرية، واستحكمت المودة بينهما[78].

إن جسر التواصل تجسد فيما اصطلح عليه بالوكالة التجارية التي لعبت دورا فعالا في تنشيط وتوطيد العلاقات بين البلدين. ويعد المقري الجد من بين الأوائل الذين أسسوا وكالة تجارية نظمت أعمال تجارة السودان[79]،كان مركزها تلمسان الهدف منها الوقوف على التجارة وتنظيمها وتوفير وتأمين المستلزمات الضرورية للقوافل كالماء. وكانت هذه الوكالة يُنَظِّمُهَا خمسة إخوة يقيم إثنان في تلمسان، وإثنان في ولاته، والخامس في سجلماسة[80].

وزيادة على ذلك، فقد خاضت بعض العائلات التلمسانية ميدان التجارة مع بلاد السودان، نذكر من بينها عائلة العقباني وعائلة المرازقة[81]، والتي كانت لها نفوذ وعلاقات طيبة لدى سلاطين الدولة الزيانية وسلاطين المماليك السودانية الذين شجعوهم على ممارسة التجارة في أمصارهم، وقد أقر ذلك ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد السودان أنه التقى بتلمسانيين منهم الحاج زيان الذي رافقه، والتقائه ببعض التجار التلمسانيين منهم الشيخ الرحال عقبة، وابن شيخ اللبن التلمساني، ومحمد بن الفقيه، وكان هذا الأخير أحد المقربين إلى مجلس السلطان منسى موسى[82].

لقد أدت التجارة عبر نظام الوكالات التجارية إلى تدعيم العلاقات دبلوماسية بأوجه أخرى والتي تجسدت عبر الطرق التجارية التي كانت تربطها مع ممالك السودان الغربي والأوسط، حيث قامت هذه الأخيرة بتنظيم التجارة المارة بين محطات التي تفصل بين الطرق، وتأمين المستلزمات الضرورية للقوافل كالماء، والغذاء...إلخ.

5. خاتمة:

كان للسفارات والبعثات الرسمية بين الدول دور فعال في مد جسور التواصل بين شمال إفريقيا وجنوبها، والتي انعكست على مجتمعاتها بالإيجاب، عبر المسالك والطرق التجارية، من خلال توفير الأمن للقوافل، وتجلى ذلك في توفير وتنوع السلع والمبادلات التجارية بين الضفتين، بالإضافة إلى ذلك استفاد بلاد السودان من خلال التلاقح واستيطان الجالية المغاربية بالمنطقة من الجانب الحضاري والثقافي وانفتاحه على الإسلام والحضارة الإسلامية.

وقد مرت هذه العلاقات بثلاث مراحل رئيسية، المرحلة الأولى والتي امتدت من القرن الثالث إلى منتصف القرن الخامس الهجري كان بمثابة لظهور وتطور للعلاقات الدبلوماسية، أما المرحلة الثانية فهي عصر حُكْمُ المرابطين والموحدين من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن السابع الهجري ساد العلاقات نوع من البرودة والفتور، نظرا لوقوع منطقة السودان الغربي تحت سلطة المرابطين، ومن بعدهم الموحدين الذين لم يول الأمراء اهتمامهم بالهدايا وتبادل السفارات، نظرا للجبهات المفتوحة في الشمال على الدولة الموحدية في الأندلس والمغربين الأوسط والأدنى، فتركوا التجارة تقوم بدورها في تفعيل العلاقات بين الضفتين، إضافة إلى ذلك اختلال موازين القوى بين الشمال والجنوب، وسيطرة القبائل الهلالية على الواجهة الصحراوية لبلاد المغرب.

وتأتي المرحلة الثالثة والأخيرة التي تمتد من منتصف القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، حيث شهدت هذه المرحلة نشاطا دبلوماسيا غير معتاد بين الشمال والجنوب، نظرا لتفكك المغرب الإسلامي إلى وحدات سياسية متصارعة فيما

بينها، وكل منها تبحث عن توطيد العلاقات مع الطرف الآخر، وفي المقابل كان الطرف السوداني يؤيد الطرف المنتصر والذي له الغلبة والسيطرة على المغرب الإسلامي.

6. هوامش:

[1]- محمد بن عرفة: من المتقدمين في بلاط الرستميين في عهد الإمامين أفلح وأبي بكر، صهر إلى الإمام أبي بكر وصهره الإمام، لذلك بلغ من النفوذ مبلغا عظيما في عهده. ابن الصغير المالكي: **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 70.

[2]- هو ابن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، تولى الإمامة عقب وفاة أبيه عام 190هـ/805م. شهدت فترة حكمه عدة ثورات لكن الإمام تصدى لها بشجاعة كثورة خلف بن السمح في طرابلس، والانقسام الذي أحدثه نفاث بن نصر في صفوف الإباضية. توفي عام 240هـ/854م. ينظر: سليمان الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، مطبعة الأزهار البارونية، د م ن، د س ن، ص ص 166-222؛ مسعود مزهودي: **الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/909-1058م)**، جمعية التراث، القرارة، 1996، ص ص130-131.

[3]- محمد ناصر: **دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب أفريقيا**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، د.س.ن، ص 8.

[4]- نفسه.

[5]- ابن الصغير المالكي: المصدر نفسه، ص 71؛ سليمان الباروني: المرجع نفسه، ص 223؛ جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 238.

[6]- اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010، ج01، ط01، ص 239.

[7]- اليعقوبي: المصدر نفسه، ج01، ص ص 238-239.

[8]- الدرجيني: **طبقات المشائخ بالمغرب**، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج02، ص 320.

[9]- الوسياني: **سير الوسياني**، تحقيق: لقمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2009، ج01، ص 327.

[10]- ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 71.

[11]- حسين سيد عبد الله مراد:**"الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي"**، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2015، ص08.

[12]- كوكو: من الإقليم الأول وعرضها عشر درج وملكهم يظاهر رعيته بالإسلام وأكثرهم يظاهر به، وله مدينة على النيل من شرقيه اسمها سرناة بها أسواق ومتاجر، والسفر إليها من كل بلد متصل، وله مدينة على غربي النيل سكنها هو ورجاله وثقاته، وبها مسجد يصلي فيه؛ ومصلى الجماعة بين المدينتين، وله في مدينته قصر لا يسكنه معه أحد ولا يلوذ فيه إلا خادم مقطوع، وجميعهم مسلمون وزيّ ملكهم ورؤساء أصحابه القمصان والعمائم، ويركبون الخيل أعراء ومملكته أعمر من مملكة زغاوة، وبلاد الزغاوة أوسع؛ وأموال أهل بلاده الأموال المواشي، وبيوت أموال الملك واسعة وأكثرها الملح. المهلبي: **المسالك والممالك**، تحقيق: تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص 55.

[13]- ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص 61-63.

[14]- محمد الطالبي: أستاذ التعليم العالي بجامعة تونس تخصص التاريخ الوسيط، توفي يوم 01 ماي 2017.

[15]- مجموعة من المؤلفين: **تاريخ إفريقيا العام**، حسيب درغام وأولاده، لبنان، 1997، مج 3، ص 299.

[16]- مجموعة من المؤلفين: المرجع نفسه، مج 3، ص 437.

[17]- نفسه.

[18]- ابن حوقل: **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 99.

[19]- المهلبي: **المسالك والممالك**، تحقيق: تيسير خلف، التكوين للنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص 45.

[20]- وقد تطرق الأستاذ محمود إسماعيل عبد الرازق إلى موضوع الثورات التي قام بها الخوارج الصفرية ضد الشيعة الإسماعيلية في سجلماسة. ينظر إلى: محمود إسماعيل عبد الرازق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ط02، ص ص 219-228.

[21]- عبد الله العروي: **تاريخ المغرب-محاولة في التركيب**، ترجمة ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ط 01، ص 133.

[22]- مجموعة من المؤلفين: **تاريخ إفريقيا العام**، المرجع السابق، مج 3، ص 437.

[23]- **المعز** لدين الله الفاطمي: هو معد بن تميم ولد بالمهدية يوم الإثنين في رمضان سنة 319هـ، وولي وله اثنتان وعشرون سنة، له ثلاث أولاد وسبع بنات، بعد رابع خلفاء بني عبيد ببلاد المغرب، انتقل إلى مصر سنة 362هـ، بنى مدينة القاهرة وجامع الأزهر، توفي سنة 366هـ. انظر أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم**، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العدالة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د س ن، ص ص 83-92.

[24]- القاهرة: هي المدينة التي أنشأها القائد الفاطمي جوهر الصقلي سنة (358هـ/969 م) شمالي مدينة الفسطاط وبناها في ثلاث سنوات وأطلق

عليها اسم "المنصورية" ثم جاء الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في 7 رمضان 362 هـ/ 11 يونيو 972م، وجعلها عاصمة لدولته، وسماها "القاهرة" وهو اسمها الحالي، وأقام في القصر الذي بناه جوهر، وفي اليوم الثاني خرج لاستقبال مهنئيه وأصبحت القاهرة منذ ذلك الحين مقرا للخلافة الفاطمية، وانقطعت تبعيتها للخلافة العباسية وشهدت القاهرة أزهى أوقاتها آنذاك من الازدهار بحكم كونها عاصمة للدولة الفاطمية. ينظر الموقع الإلكتروني: www.marefa.org بتاريخ 2018/10/29 على الساعة 22:00.

[25]- بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي: (...-373هـ/...-984م)، أبو الفتوح، سيف الدولة، المسمى (يوسف) يرفع نسبه إلى حمير، مؤسس الدولة الصنهاجية بافريقية، كان في بدء أمره من قواد المعز الفاطمي، وأبلى في إخضاع زناتة (بالمغرب) البلاء الحسن. ولاه المعز أمر بلاد المغرب باستثناء صقلية وطرابلس الغرب بعد خروجه إلى مصر. دان له المغرب كله، توفي في موضع بين سجلماسة وتلمسان يقال له (واركنفوا). محمود بن سعيد مقديش أبي الثناء الصفاقسي: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار**، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، د س ن، ج01، ص 344.

[26]- ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ترجمة: ليفي بروفنسال و ج.س كولان، دار الثقافة، بيروت، 1983، ط03، ج01، ص 246.

[27]- المنصور بن بلكين: المنصور بن بلكين(يوسف) بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو الفتح، يرتفع نسبه إلى حمير: صاحب إفريقية. وليها بعد وفاة أبيه سنة 373 هـ وجاءه من مصر تقليد العزيز باللّه الفاطمي على إفريقية والمغرب. وكان كريما شجاعا حازما مظفرا. أسقط البقايا عن أهل إفريقية، وكانت أموالا كثيرة. وتوفي قرب صبرة (المنصورية) المتصلة بالقيروان، ودفن بظاهرها. ينظر خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، ج07، 2002، ص 298.

[28]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج01، ص 246.

[29]- **المعز** بن باديس بن المنصور الصنهاجي: (398-454هـ/ 1008-1062م) من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية. ولد بالمنصورية (من أعمال إفريقية) وولي بعد وفاة أبيه (سنة 406هـ وأقره الحاكم الفاطمي (صاحب مصر والمغرب) ولقبه بشرف الدولة. وساد الأمن في أيامه. وبنى بنايات ومساجد أنفق عليها أموالا وافرة، وقرب العلماء وأكرمهم. ونشبت بينه وبين قبائل زناتة حروب انتصر في جميعها. وكانت خطبته للفاطميين، فقطعها (سنة 440هـ) وجعلها للعباسيين، فوجه إليه المستنصر الفاطمي أعراب بني هلال وبني سليم من قبائل الحجاز، وأباح لهم الغارة على المغرب، فاحتلوا القيروان. وحاربهم المعتز فتغلبوا عليه، فتقهقر إلى المهدية. واستمر وادعا إلى أن توفي فيها من ضعف الكبد. وهو أول من حمل الناس بإفريقية على مذهب مالك وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة. ينظر: خير الدين الزركلي: المصدر نفسه، ج07، ص 270.

[30]- ابن عذاري: المصدر نفسه، ج01، ص 275.

[31]- أبو عبيد البكري: **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ط01، ج02، ص 355.

[32]- يوسف بن تاشفين: أمير المسلمين، السلطان أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني البربري الملثم، ويعرف أيضا بأمير المرابطين، وهو الذي بنى مراكش، وصيرها دار ملكه. وأول ظهور هؤلاء الملثمين مع أبي بكر بن عمر اللمتوني، فاستولى على البلاد من تلمسان إلى طرف الدنيا الغربي، واستناب ابن تاشفين، فطلع بطلا شجاعا شهما عادلا مهيبا، فاختط مراكش في سنة (465هـ)، تملك بضعا وثلاثين سنة، وهو وجيشه ملازمون للثام الضيق، وفيهم شجاعة وعتو وعسف، جاءته الخلع من المستظهر، وولي بعده ولده علي. مات في أول سنة خمسمائة وله بضع وثمانون سنة، وتملك مدائن كبارا بالأندلس، و بالعدوة ولو سار، لتملك مصر والشام. انظر: شمس الدين الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ط03، ج19، ص ص 253-254.

[33]- مؤلف مجهول: **كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 219.

[34]- مؤلف مجهول: المصدر نفسه، ص 208؛ عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/1038-1121م**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ط01، ص 125.

[35]- أحمد الشكري: **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230-1430م**، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص 262.

[36]- نفسه.

[37]- مؤلف مجهول: **رسائل موحدية**، تحقيق: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2001، ط1، ج02، ص 240.

[38]- أبو الربيع الموحدي سليمان بن عبد الله(ت 604هـ)، والي بجاية، وشارك في بعض الأعمال الحربية ضد ابن غانية بتونس، وقال الشقندي فيه إنه من مفاخر بني عبد المؤمن، كان قديرا على النظم حافظا للآداب، وله ديوان شعر. أنظر الهامش: أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج03، ص 105.

[39]- أحمد بن محمد المقري: المصدر نفسه، ج03، ص 105؛ محمد الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، بغداد، 1982، ص44؛ عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، د د ن، طنجة، 1960، ط02، ج02، ص ص 424-425.

[40]- الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 232.

[41]- ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ط01، ص 126.

[42]- الدولة الحفصية: الحفصيون هم سلالة أمازيغية حكمت في تونس، شرق الجزائر وطرابلس مابين 1229-1574م. مقرها مدينة تونس. أنظر:

الموقع الإلكتروني www.marefa.org بتاريخ 2018/05/26 على الساعة 22:45.

[43]- الدولة المرينية: بنو مرين: سلالة بربية أمازيغية تولت الحكم في المغرب1244-1465م، وكانت عاصمتها مدينة فاس. أنظر: الموقع الإلكتروني www.marefa.org بتاريخ 2018/05/26 على الساعة 23:00.

[44]- الدولة الزيانية: بنو زيان أو بنو عبد الواد سلالة بربية زناتية حكمت في غرب المغرب الأوسط بين 1236 و 1554 م. مقرهم تلمسان. أنظر: الموقع الإلكتروني www.marefa.org بتاريخ 2018/05/26 على الساعة 23:10.

[45]- دونمة دوبلامي: يعد دونمة دبلامي من أعظم ملوك كانم وقد بلغت الدولة في عهده أوج قوتها وقام بجهود في توسيع رقعتها كما ساهم في نشر الإسلام ومحاربة مظاهر الوثنية. عبد العزيز بن راشد العبيدي: **"إنتشار الإسلام في بلاد الكانم – دراسة تاريخية-"**، مجلة دراسات إفريقية، العدد 46، د.س.ن، ص 35.

[46]- عبد الرحمن بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج06، ص 417؛ روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط01، ج01، ص76.

[47]- أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: **رحلة التجاني**، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص 111؛ مريم محمد عبد الله جبودة: **"التجارة في إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/1160-1572م)"**، تحت إشراف: أ.د سامية مصطفى مسعد، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي غير منشورة، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، قسم التاريخ، مصر، 2008، ص 113؛ روبار برنشفيك: المرجع نفسه، ص 76.

[48]- مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع نفسه، ص 114.

[49]- عبد العزيز بن راشد العبيدي: المرجع نفسه، ص 22.

[50]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 95.

[51]- ابن خلدون: المصدر نفسه،ج06، ص ص 265-266.

[52]- عبد العزيز بن راشد العبيدي: المرجع السابق، ص 18.

[53]- منسا موسى: هو منسا بن ماري جاطة بن منسا مغا، يعرف صاحب هذه المملكة عند أهل مصر بملك التكرور، ويعتبر من أعظم ملوك السودان، اشتملت مملكته على أربعة عشر إقليما دام حكمه خمسة وعشرون سنة. تقي الدين المقريزي: **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ط01، ص ص 496-499.

[54]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص 48؛ بشار أكرم جميل: **"دور السفارات في التواصل الحضاري بين المرينين ودولة مالي الإسلامية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي"**، مجلة كلية الآداب، بغداد، 2009، ص 08.

[55]- أبو سعيد عثمان بن يعقوب(675-731هـ/1276-1331م): من أهل الْعلم والحلم والعفاف جوادا متواضعا متوقفا فِي سفك الدِّمَاء لقبه السعيد بِفضل الله وَأمه حرَّة اسْمهَا عَائِشَة بنت الْأَمِير أبي عَطِيَّة مهلهل بن يحيى الخلطي وَلما هلك السُّلْطَان أَبُو الرَّبِيع بتازا فِي التَّارِيخ الْمُتَقَدّم-675هـ- تطاول لِلْأَمْرِ عَمه أَبُو سعيد الْأَصْغَر وَهُوَ عُثْمَان بن السُّلْطَان يُوسُف وخب فِي ذَلِك وَوضع وأسدى وألحم فَلم يحصل على شَيْء وَاجْتمعَ الوزراء والمشيخة بِالْقصرِ بعد هدأة من اللَّيْل وتفاوضوا فِي أمرهم حَتَّى وَقع اختيارهم على أبي سعيد الْأَكْبَر وَهُوَ عُثْمَان ابْن السُّلْطَان يَعْقُوب بن عبد الْحق فاستدعوه فَحَضَرَ فَبَايعُوهُ ليلتئذ وَتمّ أمره وأنفذ كتبه إِلَى النواحي والجهات باقتضاء الْبيعَة. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى– الدولة المرينية-**، تح: جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج03، ص 103.

[56]- محمد عيسى الحريري: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م-869/1465م)**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ط02، ص 222.

[57]- بشار أكرم جميل: المرجع نفسه، ص ص 8-9.

[58]- أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب(697-752هـ/1297-1351م): من كبار بني مرين ملوك المغرب، كان يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل، لسمرة لونه، وأمه حبشية. بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة 731هـ بعهد منه. ينظر: محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط01، ج01، ص 481.

[59]- يحي ابن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، مطبعة بيير فونطانا، الجزائر، 1903، ص ص 140-141؛ عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر نفسه، ج07، ص 145.

[60]- مزاحم علوي الشاهري: **الحضارة العربية الإسلامية في المغرب (العصر المريني)**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2010، ص 70.

[61]- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 353.

[62]- مزاحم علوي الشاهري: المرجع السابق، ص 70.

[63]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المصدر السابق**، ج03، ص 151؛ فريد عبد الرشيد المهندس: **العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الإسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين**، المكتب العربي للمعارف، القاهرة 2017، ط01، ص 132.

[64]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع نفسه، ص 134.

[65]- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر نفسه، ج07، ص 353؛ الناصري: المصدر نفسه، ج03، ص 152؛ محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 222.

[66]- أحمد الشكري: المرجع السابق، ص 274.

[67]- أحمد الشكري: المرجع السابق، ص 274.

[68]- محمد بن مرزوق التلمساني: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 355؛ أحمد الشكري: المرجع نفسه، ص 274.

[69]- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 362؛ الشاهري: المرجع السابق، ص72؛ أحمد الشكري: المرجع نفسه، ص 275.

[70]- ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ط01، ج02، ص 699؛ الشاهري: المرجع نفسه، ص 71.

[71]- أمال سالم عطية: المرجع السابق، ص 138.

[72]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 686.

[73]- أحمد الشكري: المرجع نفسه، ص 277.

[74]- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص 411.

[75]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص ص 695-696.

[76]- بوداوية مبخوت: **"العلاقات الثقافية والإقتصادية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان"**، إشراف: أ.د عبد الحميد حاجيات، رسالة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، قسم التاريخ، تلمسان، 2006، ص 321.

[77]- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 152.

[78]- أمال سالم عطية: المرجع السابق، ص 143.

[79]- أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، مج 05، ص ص 205-206.

[80]- بوداوية مبخوت: المرجع السابق، ص 323.

[81]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص ص 689-703.